المصـــــدر : البلاد
التـــاريخ : 23-06-2007
الصفحـات : 12
العـــدد : 18491
المسلسل : 83

الجولة الأوروعربية لخادم الحرمين الشريفين

تعزيز للثقة.. تطوير للعلاقات.. تعميق للتعاون

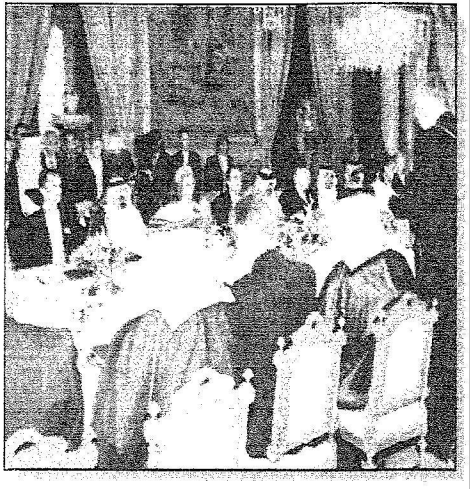

المصـــــدر : البلاد
التـــاريخ : 23-06-2007 العـــدد : 18491
الصفحـات : 12 المسلسل : 83

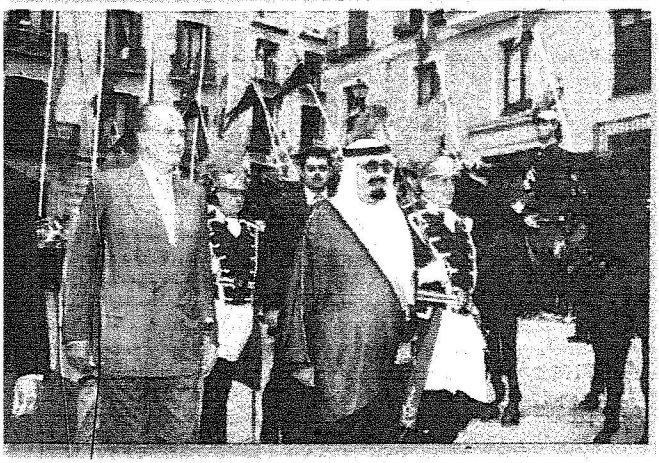

المصـــــدر : البلاد
التـــاريخ : 23-06-2007 العـــدد : 18491
الصفحـات : 12 المسلسل : 83

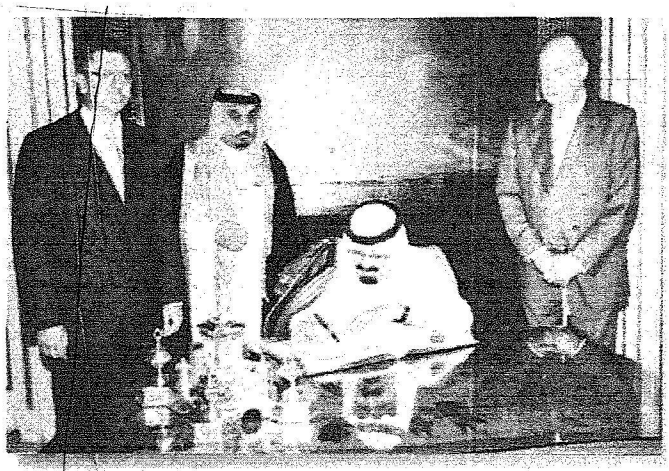

المصـــــدر : البلاد
التـــاريخ : 23-06-2007
الصفحـات : 12
العـــدد : 18491
المسلسل : 83

بقلم / يوسف الرفاعي

"إن زيارة الدولة التي قام بها المليك المفدى إلى إسبانيا . هي الأولى من نوعها التي يقوم بها عاهل سعودي منذ ست وعشرين سنة . لتعكس العلاقة الوثيقة والأخوية التي تربط المملكة وإسبانيا وشعبيهما وأسرتهما الملكيتين وقال نحن واثقون من أن زيارة الدولة هذه، ستفسح المجال أمام مزيد من التعاون بين الوطنيين القويين والديناميين" بهذه الكلمات التي قالها جلالة الملك خوان كارلوس ملك ملكة أسبانيا ثم بكلمات رئيس وزراء أسبانيا خوسيه لويس ثاباتيرو الذي قال "إن المملكة العربية السعودية القوية في القرن الحادي والعشرين تمثل بلداً صديقاً لاسبانيا ومرجعاً ذا أولوية. وإنني واثق من أن زيارة خادم الحرمين الشريفين ستمثل منعطفاً يفصل ما قبله وما بعده على صعيد علاقاتنا الثنائية . حيث ستضع الأسس لاستمرارية العمل المشترك من أجل إحراز السلام في الشرق الأوسط وتفاهم أحسن بين الثقافات والشعوب". إضافة إلى ما قاله الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي : "إن العالم يحتاج للمملكة كي يتحقق السلام.. ويحتاج خادم الحرمين الشريفين لتفادي بؤر التوتر والصراع".. لجسدت رؤية قوتين من أعظم قوى العالم للدور الذي تلعبه المملكة في المنطقة والعالم من خلال سياساتها المتوازنة وعلاقاتها المعتدلة التي فتحت أمامها الآفاق لتمارس دوراً قيادياً في حل الأزمات وبذل الوساطات الإيجابية لتقريب وجهات النظر والتواجد دولياً وإقليمياً بالصورة التي تناسب تاريخها العريق واحترام العالم لريادتها.

المصـــــدر : البلاد
التـــاريخ : 23-06-2007 العـــدد : 18491
الصفحـات : 12 المسلسل : 83

ولقد شكلت زيارات المليك باستمرار لمختلف دول العالم العظمى حلقة وصل غير مسبوقة بين قيادة سعودية وبين رموز القوة في العالم. وأسست تلك الزيارات لعصر جديد وصلت في السياسة السعودية إلى أوج ازدهارها وبلغت من الكمال حداً جعلها تقف على مسافة متساوية من مختلف القوى العالمية مع بعض الفروق النسبية التي تصنعها أخوة الدم والمصير والصداقة والمصالح والاهتمامات المشتركة. إن جولات المليك الأوروبية لتمثل حلقة جديدة في جولاته الناجحة التي شملت بحكمة قوى الشرق والغرب وفتحت الآفاق ليس فقط أمام نفاذ السياسة السعودية ورؤيتها المتزنة كشريك حقيقي في السلام والاستقرار العالمي، وإنما أيضاً أمام الاقتصاد السعودي لينفذ إلى مساحات أخرى شاسعة من الفرص الاستثمارية والمجالات التي يمكن أن تشكل رافداً مهماً لنهضته وازدهاره.

والملاحظ أن الزيارات التي يقوم بها المليك المفدى وبخاصة الأخيرة إلى أوروبا وعدد من العواصم العربية لتكرس التطابق الواضح في وجهات النظر والمواقف المعتدلة التي تجمع بين المملكة وشركاءها من صانعي السلام العالمي، لكن جل الاهتمام يتركز في الواقع على جوانب اقتصادية باعتبار أن الاقتصاد يمثل شريان الحياة النابض. ولعل هذا ما يفسر النشاط الفعال لوزرائنا خلال تلك الزيارات. وسواء تم ذلك في صورة اتفاقيات فعلية يتم توقيعها خلال الزيارة أو بروتوكولات تفاهم تمهد مستقبلياً لتعاون من نوع معين، فإن المحصلة النهائية أن تلك الزيارات تفتح مسارات مهمة لتعزيز مكانة السياسة السعودية

المصـــــدر : البلاد
التـــاريخ : 23-06-2007 العـــدد : 18491
الصفحـات : 12 المسلسل : 83

والاقتصاد السعودي وتؤهل لخلق أرضيات مشتركة تفيد مستقبلاً في توصيل صوت العالم العربي والإسلامي إلى العالم على نحو متزن يثير الإعجاب والإحساس بالرغبة في التعاون.

هذه النقطة تحديداً تعد من المكاسب الهامة لجولات المليك المفدى يحفظه الله. فثمة أمور كانت تحجب وصول الرؤية العربية . حتى وإن كانت عادلة . إلى مراكز صنع القرار حول العالم. ومن هنا غياب الأرضيات المشتركة والتوجس الحذر الذي كان يلف السياسة العربية عموماً تجاه النوايا الغربية والشرقية، وإفرازات الدعاية السلبية التي طالما كللت العالم العربي بما ليس فيه.

لكن اليوم.. الأمر مختلف .. لقد أثبت المليك في كل عاصمة زارها أن العالم العربي والإسلامي لديه مواقف عادلة ومصالح يجب مراعاتها ومزايا يمكن الاستفادة من تنميتها، وحقوق لا ينبغي التعدي عليها وأزمات تحتاج لتعاون وصبر. كل هذا بينه المليك بحكمته وصبره على الصعاب التي تعترض مسيرة التواصل الدولي مع العالم العربي والإسلامي.

إن توجهات المليك التي تبدو واضحة للعيان في تصريحاته وأحاديثه الصافية لوسائل الإعلام العالمية نفت كل فرصة للشك في النوايا العربية، وقضت في المهد على التفاصيل المغيبة الغامضة التي كانت ترسمها وسائل الإعلام المشوهة للمسلمين والعرب بصفة عامة. لقد بدا للعالم أن ثمة جانباً مهماً لازال خافياً عن أعين الإعلام والساسة وهو أن لدى العالم العربي والإسلامي طموح غير عدواني، ورؤى ينبغي الاعتراف بوجودها لأنه في النهاية يمثل حجر الزاوية في قلب العالم ومصدراً لا يستهان به من مصادر الطاقة والثروة.

والمتأمل لتوجهات المليك ليلحظ ما يثير الإعجاب فيها. وتدور محاورها غالباً حول مرتكزات لا تتزحزح :

. تعزيز السلام والاستقرار العالمي.
. مكافحة الإرهاب.
. دفع عجلة التنمية.
. تكثيف التعاون المشترك.
. تنقية الأجواء من التوتر.

وإذا أردنا أن نتقصى تلك المحاور في كلماته الصافية سنجدها واضحة لا تحتمل أي لبس. وهذا مما يميز الخطاب السياسي للمليك، وإن كان الأثر يدل على المسير فليس هناك ما يعزز ما نقول أكثر من تلك الحالة من الارتياح التي يقابل بها المليك في أي من عواصم العالم، وذلك المنحى الإيجابي الواضح للإشادة بتوجهات المملكة وسياساتها. ومن ذلك ما قاله الرئيس الفرنسي خلال زيارة المليك المفدى لبلاده، حيث قال : "إن إرادة فرنسا هي أن تكون صديقة للمملكة صداقة قوية وأمينة وصادقة ومتينة وأن فرنسا تدرك الأهمية البالغة للمملكة كمركز للعالم الإسلامي ولدورها الاقتصادي والسياسي المؤثر على مستوى العالم أجمع . كما أعرب الرئيس الفرنسي

المصـــــدر : البلاد
التـــاريخ : 23-06-2007 العـــدد : 18491
الصفحـات : 12 المسلسل : 83

عن تقديره البالغ لقيادة خادم الحرمين الشريفين وحكمته وقوة بصيرته وعن ما يراه من دور محوري وأساسي للمملكة ولخادم الحرمين الشريفين لإرساء حوار حقيقي وتقارب وفهم بين الحضارات والثقافات.

وكما قال معالي وزير المالية: لقد عززت المملكة بتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين نهجها التنموي التطويري في الداخل وشهدت خلال السنوات القليلة الماضية إطلاق العديد من المبادرات الرامية إلى تحسين بيئة العمل الاقتصادي من تحديث للكثير من الأنظمة واستحداث أنظمة جديدة وكذلك اطلاق العديد من المشاريع الوطنية المهمة في التعليم والصحة والبنية الأساسية ومنظومة العلوم والتقنية وهيكلة القضاء وتطويره والتوسع في التدريب ونشر ثقافة العمل كما جاءت خطة التنمية الثامنة لتبني على ما تم إنجازه في الخطط السابقة ولتجسد انطلاقة جديدة في مسار التنمية والتي أعدت وفق منظور استراتيجي يهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة.

وتظل القضية الفلسطينية بؤرة اهتمام المملكة وقيادتها الرشيدة رغم كل الصعوبات التي تكتنف دعمها ورغم كل التحديات التي لا تنتهي والتي تعرقل المسيرة. ولعل هذا النهج القويم هو ما يجعل المملكة تحظى بمكانة مهمة ودور لا يمكن الاستهانة به في كل ما يخص القضية الفلسطينية من مبادرات. وهذا يجعلها أحد أهم القوى الراعية للسلام في منطقة تغلي فوق بركان.

ويأتي التنسيق السعودي الأوروبي مع فرنسا على وجه التحديد ليمثل نقطة ضوء مهمة على طريق التعاون من أجل تخفيف معاناة الشعب الفلسطيني وإيجاد مخرج أو أكثر لأزماته. ففرنسا بطبيعتها مهتمة بالشأن العربي وتحديداً القضية الفرنسية وقد كان للرئيس السابق جاك شيراك دور لا يستهان به في رأب الصدع العربي وإيجاد أرضيات مشتركة للحوار. وبالنظر إلى الدور السعودي العربي سنجد أن المملكة تبذل جهوداً كبيرة على سبيل رأب الصدع العربي والتخفيف من حدة تضارب المصالح بين القوى الإقليمية والعربية. وتشكل المملكة مع مصر والأردن ثلاثية السلام الأمن والتعاون التي لا تنفصم في المنطقة. ولاشك أن كل تنسيق سعودي مصري أردني يجب أن يتمخض عن فعل سياسي عربي قوي يقود إلى إنجاز جديد. خاصة إذا تعلق الأمر بالقضية الفلسطينية. وتمثل الدول الثلاث العمق الاستراتيجي للفلسطينيين الباحثين عن الدعم العربي الريع والمحتاجين إلى علاقات دبلوماسية قوية تذلل لهم الصعاب. وتمثل المملكة في تعاونها مع مصر والأردن حلقة محكمة. ولا تجد مبادرة عربية أو عمل مشترك يخص فلسطين يمكن أن يخرج عن هذه الدائرة. لقد اكتسبت العلاقات السعودية المصرية الأردنية طابعاً خاصاً فرضه واقع القضية الفلسطينية المتأزم دائماً انطلاقاً مما فرضته الظروف الجغرافية والتاريخية والسياسية. وكون زيارة المليك المفدى تمر بهذه الدول المهتمة بالشأن الفلسطيني لا يعني سوى الترتيب لمبادرة عربية جديدة تعيد الأمور إلى نصابها ليس فقط على صعيد الصراع الداخلي الفلسطيني وإنما أيضا على الصعيد اللبناني. ولعل المرحلة المقبلة تكشف لنا عن بعض الأمور الهامة التي ستتمخض عنها تلك الجولة الأوروبية العربية.